

الذنوب التي تنقص العمر



ما أكثر من خبت جذوة حياتهم في عنفوانها نتيجة قطع الرحم الكذب من الأخطار التي تهدد البشرية على الصعيد الفردي والاجتماعي. أحد الآثار الهادمة للزنا قصر العمر. الأجل المعلق يتغير بالدعاء والمدح. العلماء يقررون اليوم أثر الدعاء في شفاء الأمراض. يشرح الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع) عوامل قصر العمل فيقول: "والذنوب التي تجعل الوفاة: قطيعة الرحم، واليمين الفاجر، والأقوال الكاذبة، والزنا، وسد" طرق المسلمين، وادعاء الإمامة بغير حق". وفي هذا الحديث يعدد الإمام ستة عوامل مؤدية إلى تعجيل الهلاكة والوفاة تتناول هنا بعضها. - قطيعة الرحم تعجل الوفاة: قد يكون القارئ الكريم قد شاهد في حياته مصاديق لهذه العلاقة، فما أكثر الأفراد الذين طال عمرهم في خير وبركة نتيجة صلة الرحم، وما أكثر من خبت جذوة حياتهم في عنفوانها نتيجة قطيعة الرحم.. النصوص الدينية أكدت على هذه العلاقة، والروايات كثيرة في هذا المجال نذكر طائفة منها. عن أمير المؤمنين علي (ع): "إن" اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تذران الديار بلاع من أهلها". وروى أبو حمزة الثمالي عن أمير المؤمنين (ع) قوله: "أعوذ بما من الذنوب التي تعجل الوفاة". فقام إليه رجل من الخوارج وقال: يا علي، وهل هناك ذنب تعجل الوفاة؟ قال الإمام: "نعم ويلك، قطيعة الرحم...". - بين الإمام الصادق (ع) والمنصور:بعث أبو جعفر المنصور إلى الإمام الصادق (ع)، وأمر بفرش فطرحت له إلى جانبه فأجلسه عليها ثم قال: علي" بمحمد، علي" بالمهدى (اسم ولده ولقبه) يقول ذلك مراراً، فقيل له: الساعة

الساعة يأتى يا أمير المؤمنين، فما لبث أن وافى، فأقبل المنصور على الإمام الصادق (ع) فقال: يا أبا عبداً حديثه في صلة الرحم، اذكره يسمعه المهدي. قال الصادق (ع): "نعم، حدثني أبي عن أبيه عند جده عن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص): إنَّ الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيّرها الله عزَّ وجلَّ ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيّرها الله ثلاث سنين. ثمَّ قال (ع): يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنه أمهات الكتاب". قال المنصور: هذا حسن يا أبا عبداً، وليس إياه أردت. قال أبو عبد الله (ع): "نعم، حدثني أبي عن جده عن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص): صلة الرحم تعمّر الديار وتزيد في الأعمار وإن كان أهلها غير اختيار". قال المنصور: هذا حسن يا أبا عبداً، وليس إياه أردت. فقال أبو عبد الله (ع): "نعم، حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال: قال رسول الله (ص) صلة الرحم تهون الحساب وتقى ميّة السوء". قال المنصور: نعم هذا أردت.

قطع الرحم بعد الشرك بما! جاء رجل رسول الله (ص) فقال: ما أبغضُ الأعمال إلى الله؟ قال: الشرك بما. قال: ثمَّ ماذا؟ قال: قطيعة الرحم. قال ثمَّ ماذا؟ قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

قصة من الكافي: روى أحد أصحاب الإمام الصادق (ع) أنَّه قال للإمام: إن إخوتي وبني عمِّي قد ضيقوا علي الدار، وألجهوني، منها إلى بيت، ولو تكلمت أخذت ما في أيديهم. قال الإمام: اصبر فإنَّ الله سيجعل لك فرجاً. قال: فانصرفت، ووقع الوباء في سنة إحدى وثلاثين ومئة، فماتوا وآل كلهم، مما بقي منهم أحد. قال: فخرجت فلما دخلت عليه قال (الإمام): ما حال أهل بيتك؟ قال: قلت له: قد ماتوا وآل كلهم، مما بقي منهم أحد. فقال: هو بما صنعوا بك وبعقوبهم إليك وقطع رحمهم بتروا، أتحبُّ أنهم بقوا وأنهم ضيَّقوا عليك؟ قال: قلت أي وآل.

ثلاثة أحاديث في صلة الرحم: عن الإمام الباقر (ع) قال: "صلة الأرحام تزكي الأعمال وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتيسّر الحساب وتنسّق في الأجل". وروي عن رسول الله (ص) أنَّه قال: "أوصي الشاهد من أمتي والغائب ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيمة أن يصل الرحم وإن كانت منه على مسيرة سنة، فإن ذلك من الدين". وعن الإمام الصادق (ع) قال: "ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم، حتى أنَّ الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم فيزيد في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثة وثلاثين سنة. ويكون أجله ثلاثة وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم فينقشه الله ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاثين سنة".

الكذب ينقم العمر: الكذب من الأخطار التي تهدد المجتمع البشري على الصعيدين الفردي والاجتماعي. يقول أمير المؤمنين علي (ع): "ألا فاصدقوا فإنَّ الله مع الصادقين، وجانبوا الكذب فإنَّ الكذب مجانب الإيمان، إلا وإن الصادق على شفا منجاً وكراهة، وإنَّ الكاذب على شفا مخزاة وهلكة".

وقال في حديث آخر: "الصدق ينجي والكذب يردي". والأحاديث تؤكد بشكل خاص على الأثر المدمر

للكذب المقرون باليمنين. قال رسول الله ﷺ (ص): "من حلف على يمين وهو يعلم أنّه كاذب فقد بارز الله بالمحاربة، وإنَّ اليمين الكاذبة تذر الديار بلاع من أهلها وتورث الفقر في العقب". - عاقبة كذب الزبيري: يحيى بن عبد الله بن الحسن - من أحفاد الحسن المجتبى عليه السلام - ومن المقربين للإمام الصادق (ع)، وروى عنه أحاديث كثيرة. حين ثار الحسين بن علي - شهيد فخ - في عصر الهادي العباسي نهض لمناصرته، وبعد شهادته توارى عن الأنظار، وباقي متنقلًا في المدن متذكرًا. ووصل إلى الديلم في عهد الرشيد، فالتف حوله الناس، وازدادت شوكته. بلغ الرشيد خبر يحيى، فاستاء، وأمر الفضل بن يحيى البرمكي وهو آنذاك على نواحي خراسان أن يستميل يحيى بكل ما استطاع وينهي الغائلة. استطاع الفضل أن يفعل ذلك، وانتهى الأمر بالصلح، وإمساء وثيقة أمان، فأرسل الفضل يحيى وأتباعه إلى بغداد، فرحب به الرشيد وأكرم وفاته، ولكنه كان يتربص به ليوقعه في السجن بتهمة التآمر ضد النظام الحاكم. وفي مرة جاء عبد الله بن مصعب الزبيري إلى الرشيد وأخبره أن يحيى بن عبد الله طلب منه البيعة. فأمر الرشيد أن يجمع بين يحيى وابن الزبيري، وفي هذا الاجتماع دارت أحاديث طريفة نقلها للقارئ، لكننا نستهدف بيان نهاية هذه الجلسة وكيف أدت إلى هلاك الزبيري بسبب قسمه كذباً. يقول أبو الفرج: "ثم دعا (الرشيد) وجمع بينه (يحيى) وبين عبد الله بن مصعب الزبيري ليناظره فيما رفع إليه، فجده ابن مصعب بحضور الرشيد وقال له: نعم يا أمير المؤمنين إنَّ هذا دعاني إلى بيته. قال له يحيى: أتصدق هذا وتستنصره؟ وهو ابن عبد الله بن الزبيير الذي أدخل أباك وولده الشعب وأضرم عليهم النار حتى خلصه أبو عبد الله الجدلي صاحب علي بن أبي طالب منه عنوة. وهو الذي بقي أربعين جمعة لا يصلى على النبي (ص) في خطبته حتى الثالث عليه الناس. فقال: إن له أهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا اعناقهم واسرأبوا لذكره وفرحوا بذلك فلا أحد أن أقر عينهم بذلك.. ووَإِن عداوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعاً بمنزلة سواء، لكنه قوي على بك وضعفت عنه، فتقرب بي إليك، ليظفر منك بما يريد، إذ لم يقدر على مثله منك، وما ينبغي لك أن تسوغه ذلك فيَّ، فإن معاوية بن أبي سفيان وهو أبعد نسبياً منك إلينا ذكر يوماً الحسن بن علي فسفهه، فساعدته عبد الله بن الزبيير على ذلك، فزجره معاوية وانتهره، فقال: إنما ساعدتك، يا أمير المؤمنين! فقال: إنَّ الحسن لحمي آكله ولا أوكله. فقال عبد الله بن مصعب: إنَّ عبد الله بن الزبيير طلب أمراً فأدركه، وأنَّ الحسن باع الخلافة من معاوية بالدرام، اتقول هذا في عبد الله بن الزبيير وهو ابن صفية بنت عبدالمطلب؟ فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، ما أنسفنا أن يفخر علينا بامرأة من نسائنا وامرأة منا، فهلا فخر بهذا على قومه من النوبيات والإسميات والحمديات! فقال عبد الله بن مصعب: ما تدعون بغيكم علينا وتوثبكم في سلطاناً؟ فرفع يحيى رأسه إليه، ولم يكن يكلمه قبل ذلك، وإنما كان يخاطب الرشيد بجوابه ل الكلام

عبداء، فقال له أتوثينا في سلطانكم؟ ومن أنتم - أصلحك أم - عرضني فلست اعرفكم؟ فرفع الرشيد رأسه إلى السقف يجده فيه ليستر ما عراه من الضحك، ثم غالب عليه الضحك ساعة، وخجل ابن مصعب. ثم التفت يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، ومع هذا فهو الخارج مع أخي على أبيك وقاتل له: (وذكر أبياتاً منها): إنا لتأمل أن ترتد أفتنا *** بعد التدار والبغضاء والإحن حتى يثاب على الإحسان محسننا *** ويأمن الخائف المأخذ بالدمن وتنقضي دولة أحكامُ قادتها ** فيما كأحكام قوم عابدي وثن فطالما قد بروا بالجور أعطمنا **** بري الصناع قداح النبع بالسفن قوموا ببيعتكم ننهض بطايعنا *** إن الخلاقة فيكم يابني الحسن قال: فتغير وجه الرشيد عند استماع هذا الشعر، فابتداً ابن مصعب يخلف بهـ الذي لا إله إلا هو، وبإيمان البيعة إن هذا الشعر ليس له وأنـه لسديف. فقال يحيى: وإنـ يا أمير المؤمنين ما قاله غيره، وما حلفت كاذباً ولا صادقاًـ بهـ قبل هذا، وإنـ إذا مجده العبد في يمينه بقوله: الرحمن الرحيم، الطالب الغالب استحبـ أن يعاقبهـ، فدعوني أخلفـ بيـمينـ ما حلفـ بهاـ أحدـ قـطـ كـاذـباـ إـلاـ عـوجـلـ. قالـ: حـلـفـ، قالـ: قـلـ: بـرـئـتـ مـنـ حـولـ بهـ وـقـوـتهـ، وـاعـتـصـمتـ بـحـولـيـ وـقـوـتيـ، وـتـقـلـدـتـ الـحـولـ وـالـقـوـةـ مـنـ دـوـنـ بهـ، اـسـتـكـبـارـاـ عـلـىـ بهـ، وـاسـتـغـنـاءـ عـنـهـ، وـإـسـتـعلـاءـ عـلـيـهـ إـنـ كـنـتـ قـلـتـ هـذـاـ الشـعـرـ. فـاـمـتـنـعـ عـبـدـاءـ مـنـ الـحـلـفـ بـذـلـكـ، فـغـصـبـ الرـشـيدـ وـقـالـ لـلـفـضـلـ بـنـ الـرـبـيعـ: يـاـ عـبـاسـيـ مـاـلـهـ لـاـ يـحـلـفـ إـنـ كـانـ صـادـقاـ؟ـ هـذـاـ طـيلـسـانـيـ عـلـيـّـ، وـهـذـهـ ثـيـابـيـ، لـوـ حـلـفـنـيـ أـنـهـ لـيـ لـحـلـفـتـ. فـرـفـسـ الـفـضـلـ بـنـ الـرـبـيعـ عـبـدـاءـ مـنـ مـصـبـ بـرـجـلـهـ وـصـاحـ بـهـ: اـحـلـفـ وـيـحـكـ -ـ وـكـانـ لـهـ فـيـهـ هـوـيـ -ـ فـحـلـفـ الـيـمـينـ وـوـجـهـ مـتـغـيـرـ وـهـوـ يـرـتـعـ، فـضـرـبـ يـحـيـىـ بـنـ كـتـفيـهـ ثـمـ قالـ: يـاـ اـبـنـ مـصـبـ قـطـعـتـ وـاـمـرـكـ، وـاـمـرـكـ لـاـ تـفـلـحـ بـعـدـهـاـ. فـمـاـ بـرـحـ مـنـ مـوـضـعـهـ حـتـىـ أـصـابـهـ الـجـذـامـ فـتـقـطـعـ وـمـاـ فـيـ الـيـوـمـ الـثـالـثـ. فـحـضـرـ الـفـضـلـ بـنـ الـرـبـيعـ جـنـازـتـهـ، وـمـشـ النـاسـ مـعـهـ، فـلـمـ جـاءـوـ بـهـ إـلـىـ الـقـبـرـ وـوـضـعـوـهـ فـيـ لـحـدـهـ، وـجـعـ اللـبـنـ فـوـقـهـ، اـنـخـسـفـ الـقـرـ فـهـوـيـ بـهـ حـتـىـ غـابـ عـنـ أـعـيـنـ النـاسـ، فـلـمـ يـرـواـ قـرـارـ الـقـبـرـ، وـخـرـجـتـ مـنـ غـبـرـةـ عـظـيـمةـ، فـصـاحـ الـفـضـلـ: الـتـرـابـ الـتـابـ، فـجـعـلـ يـطـرحـ الـتـرـابـ وـهـوـ يـهـوـيـ، وـدـعـاـ بـأـحـمـالـ الـشـوـكـ فـطـرـحـهـ فـهـوـتـ، فـأـمـرـ حـيـنـئـذـ بـالـقـبـرـ فـسـقـ بـخـشـ وـأـصـلـحـهـ وـأـنـصـرـ مـنـكـسـراـ.ـ فـكـانـ الرـشـيدـ بـعـدـ ذـلـكـ يـقـولـ لـلـفـضـلـ، أـرـأـيـتـ يـاـ عـبـاسـيـ؟ـ مـاـ أـسـرـ مـاـ أـدـيلـ لـيـحـيـىـ مـنـ اـبـنـ مـصـبـ.ـ قـالـ الـإـمـامـ مـحـمـدـ عـلـيـ الـبـاقـرـ (عـ):ـ "ـثـلـاثـ خـصـالـ لـاـ يـمـوتـ صـاحـبـهـنـ"ـ أـبـدـاءـ حـتـىـ يـرـىـ وـبـالـهـنـ: الـبـغـيـ وـقـطـيـعـةـ الـرـحـمـ، وـالـيـمـينـ الـكـاذـبـ يـبـارـزـ بهـ، وـإـنـ أـعـجلـ الطـاعـةـ ثـوـبـاـ لـصـلـةـ الـرـحـمـ، وـإـنـ الـقـوـمـ لـيـكـونـونـ فـجـارـاـ فـيـتـوـاـصـلـونـ فـتـمـنـيـ أـمـوـالـهـمـ وـيـثـرـونـ، وـإـنـ الـيـمـينـ الـكـاذـبـ وـقـطـيـعـةـ الـرـحـمـ لـيـذـرـانـ الـدـيـارـ بـلـاقـعـ مـنـ أـهـلـهـاـ".ـ الـزـنـاـ يـنـقصـ الـعـمـرـ:ـ أـحـدـ آـثـارـ الـرـنـاـ الـهـدـاـمـةـ قـصـرـ الـعـمـرـ،ـ وـهـذـاـ مـاـ أـكـدـ عـلـيـهـ الـمـأـثـورـ عـنـ رـسـوـلـ (صـ)ـ حـيـثـ قـالـ:ـ "ـيـاـ مـعـشـ الـمـسـلـمـينـ.ـ إـيـاـكـمـ وـالـزـنـاـ فـإـنـ فـيـهـ سـتـ خـصـالـ،ـ ثـلـاثـ فـيـ الـدـنـيـاـ وـثـلـاثـ فـيـ الـآـخـرـةـ،ـ فـإـمـاـ الـتـيـ فـيـ الـدـنـيـاـ فـإـنـهـ يـذـهـبـ بـالـبـهـاءـ وـيـوـثـرـ الـفـقـرـ وـيـنـقـصـ الـعـمـرـ،ـ وـأـمـاـ الـتـيـ فـيـ

الآخرة، فإنه يوجب بخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار". وفي حديث آخر قال: "إياكم والزنا فإن فيه عشر خصال: نقصان العقل، والدين، والرزرق، والعمر، وآفة الهرجان، وغضب الرحمن، وهجوم النسيان، وبغض أهل الإيمان، وذهاب ماء الوجه، ورد الدعاء، والعبادة". وقال (ص): "الزنا يورث الفقر ويدع الديار بلاع من أهلها". وقال رسول الله (ص): "إذا ظهر الزنا من بعدي يكثر موت الفجاءة". وفي حديث آخر قال: "خمس إذا أدركتموهن" فتعودوا بما منهن: - لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا. - ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدّة المؤونة وجور السلطان. - ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولو لا البهائم لم يمطروا. - ولم ينقضوا عهد الله تعالى وعهد رسول الله إلا سلط عليهم عدوهم وأخذوا بعض ما في أيديهم. - ولم يحكموا بغير ما أنزل الله تعالى إلا جعل الله عزّ وجلّ بأسمهم بينهم". - عقوبة الوالدين يقصر العمر: عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) أذله قال: "نعود بما من الذنوب التي تجعل الفناء وتقرب الآجال وتخلّي الديار، وهي قطيعة الرحمن والعقوبة وترك البر". وفي حديث آخر عن رسول الله (ص) أذله قال: "ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوبة الوالدين والبغى على الناس، وكفر الإمام". وهكذا البر بالوالدين يطيل العمر. قال الإمام الباقر (ع): "البر وصدق السر ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن سبعين ميتة سوء". وفي حديث آخر عنه أيضاً قال: "صدقه السر تطفى غضب الرب، وير الوالدين وصلة الرحمن يزيدان في الأجل". - عمر (ميسّر) ازداد: روى حنان بن سدير (من أصحاب الإمام الصادق) قال: كنا عند أبي عبد الله (ع) وفيينا شخص (اسمها) ميسّر فذكروا صلة القرابة، فقال أبو عبد الله (ع): "يا ميسّر قد حضر أجلك غير مرة ولا مرتين، كل ذلك يؤخر الله تعالى لك، لصلتك قرابتكم، وإن كنت تريد أن يزاد في عمرك فبّر شيخيك" يعني أبويه. وروى في موضع آخر عن ميسرة نفسه قال: "قال لي الإمام يا ميسّر إنني لاطنك وصولاً لقرابتكم، قلت: نعم جعلت فدلك، لقد كنت في السوق وأنا غلام وأجرتني درهماً وكتت أعطي واحداً عمتى، وواحداً خالتى، فقال: أما والله لقد حضر أجلك مرتين كل ذلك يؤخر". - الخاتمة: 1- 2- تذكر الروايات أن للإنسان أجلىين: أحدهما حتمي، والآخر معلق غير حتمي. الأجل الحتمي لا يتغير، أما المعلق فيقبل التغيير بالصدقة والدعاء وصلة الرحمن وأمثال هذه الأعمال. 3- العلاقة بين الكذب وقصر العمر لا تخالف العلم، فعالمنا مليء بالعلاقات بين القوى المادية والمعنوية، والعلم كشف عن جانب من هذه العلاقات ولا زال العلماء يقرروناليوم تأثير الدعاء في شفاء الجانب الأكبر منها مجهولا. 4-

الأمراض. (*) عالم دين إيراني المصدر: مجلة ثقافة التقرير/ العدد 22 لسنة 2009م